

المحاضرة الثالثة

المادة: النظم الاسلامية

المرحلة/الثالثة صباحي

قسم التاريخ / كلية الاداب

تنظيمات الرسول في المدينة(النظم الإسلامية الأولى)

لما ظهر الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) في مكة وجد فيها حكومة او ليجاركية (حكومة المأ) في يدها السلطة السياسية والدينية فاتخذ موقف الداعي الديني والمصلح الاجتماعي وصار يمثل المعارضة ضد الحكم القائم ،ولكنه لم يستطع أن يضع اية نظم سياسية لعدم تيسير المجال له فأخذ يبحث عن بيئة صالحة لنشر رسالته فوجد في يثرب ذلك المكان الذي يستطيع أن يبشر بمبادئه وعقيدته الجديدة فكانت إليها فتحا في تاريخ العرب السياسي والديني إذ فسحت المجال لبروز عبقريته السياسية ومقدرته على التنظيم في مختلف نواحي الحياة أن الأحوال الجديدة في المدينة ألقت على الرسول كثير من المسؤوليات وتطلبت منه أن يضع نظاما سياسيا واجتماعيا واقتصاديا لتفادي الخصومات والخلافات التي كانت بين كانت قد بلغت مكة فلا ريب أن يكون الشاغل الأول للرسول(صلى الله عليه واله وسلم) بعد تثبيت معالم الدين الإسلامي أن يهتم بتنظيم المجتمع المدني ليتخذ منه نموذجا يوضح رسالة الإسلام في المدينة ويجعلها قاعدة لنشر الإسلام بين قبائل العرب في الجزيرة العربية ليكسبه إلى جانبه فيسهل له بذلك إخضاع خصمه الأول قريش .

ولم يكن هذا العمل سهلا في مجتمع تأصلت فيه الروح القبلية بعنف مظاهرها وامتدت إلى كافة سكان المدينة بما فيها اليهود.

بناء المسجد:

بدأ الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بعد هجرته الى المدينة المنورة ووصله اليها يوم الاثنين الثاني من شهر ربيع الاول يوضع سلسلة من التنظيمات السياسية والإدارية والاجتماعية والمالية، وكان هدفه الاول هو حماية المسلمين لقلتهم وتثبيت قدم الإسلام ونشره في المدينة وخارجها

فبنى مسجده في (قباء) والى جانبه أقيم عدد من الحجرات لسكن الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) واهله واتخذ مركزا لاجتماعاته وناديا للمسلمين ومحلا لعباداتهم فأصبح المسجد مركز الحكومة ومحل المشاورات في شؤون العامة ترسل منه البعث و لغزوات ويستقبل فيه السفراء من قبائل العرب واتخذه مدرسة لتعليم المسلمين وأبنائهم تعاليم الإسلام وشرائعه وقد وصفه بعض المؤرخين أنها اللبنة الأولى للبناء الاجتماعي والديني باعتباره أداة لصهر المؤمنين بالإسلام في وحدة فكرته من خلال حلقات بالعلم والقضاء والعبادة والبيع والشراء وإقامة المناسبات المختلفة.

المؤاخاة :-

اهم الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) بعد دخوله المدينة بمعالجة الوضع الاقتصادي لاسيما وأن اغلب من هاجر من المسلمين تركوا أموالهم في مكة فكان على الرسول أن يعالج أمر توفير أساليب العيش لهذا العدد من المهاجرين فأوجد نظام المؤاخاة فقال(اخوا في الله اخوين اخوان) وذلك بتوزيع المهاجرين على الأنصار إذا جعل كل مهاجر يعيش مع انصاري اخاله . وبذلك حل اعاقبة المهاجرين، ووثق التعاون بين المسلمين لقد استمر تنفيذ نظام المؤاخاة إلى أن إلى أن الغي بعد معركة بدر حيث نزلت الآية الكريمة (واولوا الأرحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله) ولزوال الازمة الاقتصادية إلي واجهها المسلمون عند الهجرة إلى المدينة ويرى البعض أن نظام المؤاخاة اوجد صيغة سليمة في البناء الاجتماعي والروحي والاقتصادي بين فئات من مختلف القبائل جمع بينها الرابط الروحي، وترك بينهم روح المودة والتعاون والتضحية لبناء في القبيلة. مما هيا الأذهان لقبول نظام المؤاخاة بين القبائل المختلفة.

الوثيقة(الصحيفة)

ومن تنظيمات الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) الأخرى في المدينة إصداره الوثيقة (الصحيفة) التي روى المؤرخون لها نصاً وأحداً مع أختلافات جزئية ضئيلة في قراءة بعض الكلمات، وقد أطلقوا عليها أسم الصحيفة والوثيقة والكتاب ، وقد وضعت في المتن مرة ومرة صحفية ،ويصح أن نسميها (الدستور المدني لأهل المدينة) لأن هذا الدستور وضع لتنظيم العلاقة بين المسلمين من المهاجرين والأنصار وبين اليهود والمشركين وأنها (الوثيقة) التي وضعت ك دستور مرحلي في فترة كان المسلمون فيها أحوج إلى الحصول على الدعم والتأييد والدخول في سلم مع كل الأطراف التي يتخلف الرسول (صل الله عليه وآله) معها تمهيداً لترسيخ قواعد الحكومة الجديدة في المدينة ،بإيجاد صيغة من التفاهم مع اليهود في المدينة ، وكف أيديهم عن التعاون مع قريش تمهيداً لمواجهة خطر قريش ولا ريب إن أسلوب الوثيقة يتم عن أصالتها فنصوصها مكونه من جمل قصيرة غير معقدة التركيب ،وأن أغلب نصوصها كُتبت على نمط واحد وهي تستعمل تعابير وكلمات تلائم روح العصر.

و الوثيقة مقسمة إلى ثلاثة الفارسية أو أقسام:

أولها:خاص بالمسلمين

الثاني: خاص باليهود

والثالث عام عن المدينة

ومن الغريب أن القرآن الكريم لم يشر إليها صراحةً رغم كثرة ما كان ينزل في الأحداث التي كانت تواجه المسلمين.

ولسنا نعلم ما إذا كانت بنود هذا الدستور (الصحيفة) قد صيغت أثر مفاوضات ووضعت على شكل معاهدة ففي ديباجتها (هذا كتاب من محمد النبي وبين المؤاخين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن يتبعهم فالحق بهم وجاهد معهم) فهي لا تشر إلى فريق ثان فإوضه الرسول أو تعاهد

ويبدو أن هذه الوثيقة أو الصحيفة وضعت من جانب واحد وجعل الرسول مسؤولية تطبيقها على كل من في المدينة ، والذي يدعونا إلى ترجيح هذا الرأي أنه لم يذكر فيها تاريخ وضعها أو اسم كاتبها كما هو شأن الكتب و المعاهدات التي يعقدها النبي (صل الله عليها وآله وسلم) مع القبائل المختلفة و التي أشار إليها القرآن الكريم وخاصة مع اليهود (وأذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكوا دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم....) وقوله تعالى (وأذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور...) وقوله أيضاً (أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون).

أن ما جاء في مواد الدستور (الوثيقة) من الفاظ وتعابير قوية تعطي للرسول (صلى الله عليه واله وسلم) الحق في فرض نفسه كحاكم أعلى في المدينة ، وفرض آرائه كزعيم سياسي ومرجع لكل من في المدينة ، مما يدفعنا إلى الاعتقاد أن هذه الصحيفة وضعت بعد غزوة بدر التي كان التقاء الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) فيها مصدر قوة معنوية كبيرة له في المدينة وخارجها ،وما رافق هذا الانتصار من محاولات بعض قبائل اليهود خلق روح الشغب ضد الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) فكان لا بد أن تنظم العلاقة بينه وبين اليهود و من وقف معهم فجاء في المادة (٢٣)(وإنكم مهما أختلفتم فيه من شيء فأن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله).

وكذلك في المادة (١٣) وأن المؤمنين المتقين إيديهم على كل من الغى أو ابتغى ظلم أو أثماً أو عدواناً أو فساداً بين المؤمنين وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم) وكذلك جاء في المادة (٢١)(وأنه لا يحل لمؤمن (...) هذه الصحيفة وأمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً أو يؤويه وأن من نصره أو آواه فأن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ،ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل).وتنطبق هذه المادة ما الظروف والأحوال التي أعقبت غزوة بدر حيث حاول البعض من المسلمين أجارة أشخاص من قريش وحمايتهم.

أما فيما يخص النظم من إدارية ومالية فأن القرآن الكريم لم يورد إلا مبادئ عامة تتعلق بتنظيم الإدارة المالية وأما تفاصيل النظم الإدارية ومالية والسياسية والعسكرية والاجتماعية فقد وضعها الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) مراعيها فيها روح الإسلام والأحوال المحلية به.

فقد كون الإسلام (أمة واحدة من دون الناس) ولتعبير الأمة معنى الجماعة الدينية. وأن تنظيمها يختلف عن التنظيم القبلي من حيث أنه قائم على أساس العقيدة لا على أساس الدم فهو أذن قائم على مبادئ روحية وأخلاقية تمتزج فيها السياسة بالأخلاق ، غير أنه اعترف بالتنظيم القبلي القائم وأقر له التماسك وحق الجوار والدية وبعض الواجبات المالية ،مما لا شك فيه أن الرسول كان يتخذ من أحكام القرآن الكريم وروحه هادياً له في الحكم ودليلاً للعمل ،ولما لم تكن الآيات لتوضح تفاصيل الحكم فقد كان ذلك متروكاً للرسول وتطبيقه وتنفيذه ،فهو بذلك تمتع بسلطات إدارية وتنفيذية وقضائية بل وحتى سلطات تشريعية غير أن الرسول رغم تمتعه بهذه الصلاحيات الواسعة إلا أنه كان يشاور أصحابه دائماً فلا يفرض آراءه فرضاً (وشاورهم في الأمر) (وأمرهم شورى بينهم) .

وفي الصحيفة (الوثيقة) بنود تخص بتنظيم القضاء وتطبيق العدل وقد ركز الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) السلطة القضائية بيده سواء في الخلافات بين المسلمين أو اليهود (وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو شجار يخاف فسادة فأن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله)، مع أنه لم يشير إلى إن لهذه السلطة القضائية قوة تنفيذية تلزم الناس على طاعة قراراتها إلا أنه لا ريب فيه إن المسلمين كانوا يخضعون لقراراته تلقائياً، ولم يكن لأحد منهم أن يعصي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لأن ذلك يخالف ما جاء به القرآن الكريم (وأطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم).

ويتبين من نصوص الوثيقة أنها تؤكد على الروح الاجتماعية وأذ لا تقتصر أحكامها على المسلمين وأتباعهم بل تمتد إلى اليهود أيضاً فقد نص على أنهم يجب أن يشتركوا في صد الهجمات الموجهة إلى المدينة (وأن بينهم النصر على من دهم يثرب) المادة ٤٤ (وأن بينهم النصر على حارب أهل هذه الصحيفة وأن بينهم النصح والنصيحة والبرء دون الأثم) مادة ٣٧، كما حمل الرسول اليهود مسؤولية نفقاتهم الحربية فجاء في المادة ٣٧ (أن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم) كما أن الوثيقة تشير في المادة ٣٦ إلى عدم سماح الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) لهم بالخروج حرباً إلا بأذنه (وأنه لا يخرج منهم 'اليهود' أحد إلا بأذن محمد)، وكان لهذا النص أثر في قريش إذ مكن النبي حرمان مساعدة اليهود لهم ومن الوقوف في طريق كل حلف بينهما، وأكدها في نص آخر (وأنه لا تجار قريش ولا نصرها) المادة ٤٣.

وبذلك أستطاع الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) أن يكون أمه جديدة أصبح قائدها ووضع السلطة الدينية والسياسية والقضائية بيده، وترتب على الخلفاء الذين جاءوا من بعد وفاته مسؤولية وضع نظام متمم لنظم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في حكم الأمة الإسلامية فظهرت مشكلة الحكم ومن سيخلفه في إدارة الدولة الإسلامية.